The position of the psychophysiological state in building the self-efficacy of university professors

موقع الحالة البسيكوفسيولوجية في بناء الكفاءة الذاتية للأستاذ الجامعي.

mawq' alhaala albaseekoufsyouloujya fee banaa' alkafaa'a azhzhaatya lala'staazh aljaam'ee.

أ/د. البشير بوقاعدة[1] P. BOUGAADA Bachir

1 المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر. bougaadabachir@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024/4/29 تاريخ القبول: 2024/11/22 تاريخ النشر: 2024/12/21

Abstract: Our effort in the body of this paper is focused on weaving research approaches that clarify the nature of the impact that the psychophysiological state reflects in building the self-efficacy of university professors, Considering that the positive impact of the educational process depends - to some extent - in certain corners of its path, on the extent of the university professor's ability to exploit his psychological, intellectual and scientific skills in a manner consistent with the methodological and pedagogical framework, And how effectively he invests his self-efficacy (psychological and physical, such as reactions and emotions...) in the educational function. This is what we can express by his level of good control over his psychological and physiological state and directing it in a manner consistent with the education methodology, frameworks, philosophy and system; That is, good coordination between psychological abilities and emotional skills and the effectiveness of employing cognitive and experiential skills and components, Which would reveal the strengths of the positive interaction between the two parties (the professor and his students), and the professor's good exploitation of the level of functional integration in the roles of the teaching-learning process.

Keywords: Psychological, physical, competence, self, educational, pedagogy.

ملخص: يتركز جهدنا في متن هذه الورقة على نسج مقاربات بحثية تُجلّي طبيعة الأثر الذي تعكسه الحالة البسيكوفسيولوجية في بناء الكفاءة الذاتية للأستاذ الجامعي؛ على اعتبار أنّ المردود الايجابي للعملية التعليمية يرتهن –إلى حدّ ما– في زوايا معيّنة من مساحة مسارها، بمدى قدرة الأستاذ الجامعي على استغلال مهاراته النفسية والفكرية والعلمية بما يتسق والإطار المنهجي والبيداغوجي، كما ينبني على مدى فعالية استثماره لكفاءته الذاتية (نفسية وجسمية كردود الفعل والانفعالات...) في الوظيفة التعليمية. وهو ما يمكن أنّ نعبّر عنه بمستوى تحكمه الجيد في حالته النفسية والفسيولوجية، وتوجيهها بما يتسق ومنهجية التعليم وأطره وفلسفة منظومته؛ أي حسن تنسيق الأستاذ بين القدرات النفسية والمهارات الانفعالية وفعالية توظيف المهارات والمقومات المعرفية والخبراتية، بما من شأنه أن يفصح عن مكامن قوة التفاعل الايجابي بين الطرفين (الأستاذ وطلبته)، وحسن استغلال الأستاذ لمستوى التكامل الوظيفي في أدوار العملية التعلمية–التعليمية، من أجل ملامسة مثلى لمردود تعليمي عالٍ وقيمة تعليمية مضافة، وإفادة قصوى للفئة المستهدفة.

كلمات مفتاحية: النفسي، الجسمي، الكفاءة، الذاتية، التعليمية، البيداغوجيا.

المؤلف المرسل: البشير بوقاعدة، **الإيميل:** bougaadabachir@yahoo.com

1. مقدمة:

على اعتبار أنّ التعليم العالي: عملية معقدة، متلونة الجوانب، ومتداخلة الأبعاد، تتأثر بنسيج وافر من المتغيّرات وتتفاعل مع شريحة عريضة من الأطراف مُقوِّمها الأساس الأستاذ والطالب، فإنّ تحصيل مردود جدّ عالٍ في مسار هذه العملية رهين – دون مواربة– بأداء أمثل لكّل منهما (الأستاذ والطالب) لدوره، وفقههما الدقيق –ولما لا المثالي– لِكُنْه التشابك الذي تصطبغ به منظومة تلك الأدوار وتداخليتها، وحسن استثمار الطرف الأول لطرائق التعليم ومناهجه بما يتناغم وحاجات المتعلّم العلمية وقدراته المعرفية وإمكاناته العقلية والمهاراتية، ويستجيب في ذات الوقت لمكنون الإضافة المتناسلة التي تجود بها الثورة المعرفية التكنولوجية على حقول البحث والمعرفة لاسيّما في منحى الآلية والطريقة والتقنية.

ومن دون إقصاء مكانة الطالب كطرف في العملية التعليمية، فإنّ دور الأستاذ يشكل عمدتها باعتباره ربان السفينة التدريسية وقائدها الرئيس، لذلك فإنّ حيازته على كفاءة ذاتية عالية في مسار تحصيل مردود تعليمي قيم، وقدرته العالية على التحكم في حالته البسيكوفسيولوجية، أمر في غاية الأهمية لملامسة الأغراض التعليمية، وتحقيق الأهداف وفق ما هو مسطور في مناهج التعليم المقررة من لدن الوزارة الوصية والقائمين على قطاع التعليم الجامعي ومنظومته البحثية.

مع التأكيد في هذا الصدد بأننا لا نُلقي بكافة الثقل في مساحة الأهمية على مدى تحكم الأستاذ في هذه الحالة وقدرته المثلى على إدارة مجرياتها، وإنما ننوه بمحورية مكانتها في قائمة المقومات النفسية التي تلعب دورها في تأطير العلاقة بين طرفي العملية التعليمية؛ بحكم أنّ الطرف الأول (الأستاذ) هو المحور الأساس.

1. 1 مشكلة الدراسة:

انطلاقا من وعينا –إلى حد ما– بأهمية تكثيف الجهود العلمية، والتقنية، والفنية الرامية لملامسة فعالية مثلى لنظام التعليم العالي، وفلسفته التعليمية بجودة عالية، وكفاءة لامعة؛ لا تقصي دور أي طرف، ولا تغفل مكانة كل مكون من مكوناتها، ولا تتحيّز لأي طرف أو مقوم من مقوماتها؛ بل تقتضي عامل التكاملية والتضافر والتنسيق، وتأسيسا على درايتنا –المتواضعة– بالمكانة القصوى التي يحتلها الأستاذ

الجامعي في منظومة التعليم العالي؛ باعتباره عمودها الفقري وركنها الأساس، نعتقد أنّه لا مناص من العناية القصوى بتحسين مستواه التكويني، وتطوير إمكاناته الخبراتية، والرفع من مردود دوره التعليمي وفعالية كفاءته؛ وذلك من خلال معالجة اشكالية آليات قياس مستوى مردوده الإيجابي وفعاليته التعليمية، ومعاينة قدرته على حسن توظيف كل مؤهلاته وخبراته ومهاراته مهما كانت طبيعتها، ودون إقصاء لأيّ مقوّم من مقوماتها لاسيما ما تعلّق بالجانب النفسي للأستاذ الجامعي.

ذلك أنّه غالبا ما تُسلّط الأضواء على المقوم المعرفي ومستوى التحكم في التقنية والوسيلة؛ وهو في الحقيقة مقوم لا يُستهان بمكانته ولا يُستخفُّ بها في معاينة كفاءة الأستاذ ومهاراته التدريسية، بيد أنّ التغاضي عن باقي المقومات وفي طليعتها واقع الأستاذ النفسي الذي تتحكم فيه العديد من الفواعل وتتداخل في تأطيره العديد من العوامل، قد لا يمنحنا الإضاءة الكافية لملامسة مستوى كفاءته؛ لاسيما حين لا يغيب عن ناظرنا بأنّ هناك صنف من الأساتذة قد يتأثّر نفسيا تحت ضغط الظروف المحيطة بحياته مهما كانت طبيعتها ومستوى وقع ثقلها عليها، أو ينزعج تحت ضغوط النفس الناجمة عن عدم الرضا عن صفته الخَلقية إن كان يعاني من عاهة خَلقية ظاهرة للعيان أو عيب خَلقي خارج عن إرادته، وفي حال لم يحسن التأقلم والتعايش الإيجابي مع ذلك الواقع وانهزم نفسيا أمام مفرزاته، لا يُؤْمَنْ أن يؤثر سلبا كذلك على مسار أدائه الوظيفي ومسؤوليته التدريسية.

وهو الواقع الذي سلط عليه أهل الاختصاص الضوء البحثي لمعاينة أسبابه وتمظهراته، وقياس مفرزاته، واقتراح الحلول التطبيبية الناجعة، وشملت عنايتهم فئة من المشرفين على العملية التعليمية والمؤطرين لها، بهدف معالجة طبيعة العوامل الخارجية المؤثّرة على نفسية الأستاذ والمتحكمة في انفعالاته وسلوكاته وتصرفاته لاسيما في مسار عملية التدريس، وقياس مدى قدرته على حسن التعايش معها من أجل استثمار أمثل لقدراته العلمية بما يتسق ومنهجية التدريس، ووفق ما تتشوفه الوزارة الوصية على كاهل الأهداف المسطرة لإنجاح عملية التعليم العالي والرفع من مستواها.

ولئن كانت الجامعة الجزائرية –ولله الحمد– تملك ترسانة من الأساتذة الجامعيين من ذوي الكفاءة العالية والخبرة اللامعة والفعالية الملحوظة في مختلف التخصصات،

فإنّ الإقرار بوجود تباين في مستويات تلك الفاعلية وقدرات التحكم المعرفي والمهاراتي ومستوى الكفاءة والخبرة فيما بينهم، أمر لا مناص من التلميح إليه، ولعلّنا لا نبالغ إن زعمنا أنّ مكمن التفاوت يتجلى –في منحى من مناحيه– في حجم الفوارق التي تصطبغ بها طبيعة الحالة النفسية والفسيولوجية لكل أستاذ جامعي؛ فالأساتذة ليسوا على قلب رجل واحد في هذا المنحى النفسي والفيسيولوجي، لاسيما وأنّ فيسيولوجية الأستاذ أمر خارج عن نطاق إرادته ورغبته؛ شأن لون بشرته أو طول قامته أو أي عاهة جسمية خُلق بها، وأنّه من الصعوبة بمكان تأطير حالته النفسية وفق نظام محدد ونسق دائم يخدم عملية التدريس ويساهم في الرفع من مردودها باعتبارها مقوم معنوي تتلون العوامل المتحكمة في تحريكه، وتتباين المثيرات المنبهة له، وتتعدّد المغذيات الفاعلة في استثارته.

وهو الأمر الذي حفزنا لتسليط الضوء على هذا المنحى البحثي ومعالجة حيثيات مسألته، حيث تشمل الدراسة مباحثة مكانة الكفاءة الذاتية للأستاذ الجامعي – من حيث بشكل أساس مصادرها ومقوماتها– في صناعة الفارق، والرفع من المردود التدريسي وتحقيق أعلى مستويات النجاح التعليمي، وخاصة اشكالية مدى قدرته على التحكم في حالته النفسية في مسارها مهما كانت محركاتها ذاتية (وجدانية أو جسمية) ومغذياتها ومثيراتها ذاتية أو خارجية، وحسن توظيفه لمنظومة مؤهلاته وقدراته النفسية والمعرفية بشكل متكامل ومتناغم ووظيفي وناجع. ونحاول في الشق الثاني من جسم هذه الدراسة معاينة الأثر الإيجابي لحسن تحكم الأستاذ في حالته البسيكوفسيولوجية في مسار عملية التدريس وأثرها في بناء علاقة علمية متينة بين طرفي عملية التعليم العالي (الأستاذ وطلبته)، وتحصيل تفاعل تعليمي هادف وناجع بينهما، بما يُجلّي مكانة التكامل بين استثمار الأستاذ كفاءته الذاتية في استثاره كفاءة الطالب وحسن استغلالها وتنميتها، ويعين الأستاذ على التشخيص الدقيق لمهارات طلبته وتطويرها بما ينسجم وحاجات المتعلم ومنهجية التعليم وأهدافها.

1. 2 أهداف الدراسة:

من الأهداف التي تتوخاها هذه الورقة البحثية، وترنو لبلوغها في ضوء المشكلات البحثية التي تعالجها، ما نذكره تبعا:

– مباحثة الطرائق البيداغوجية الكفيلة بقيادة الأستاذ الجامعي للاضطلاع بمرافقة علمية هادفة لطلبته، ومساهمته الفاعلة في تطوير قدراتهم المعرفية، وحسن استثماره لمهاراته وخبراته الذاتية المعرفية والنفسية لتحصيل مردود علمي عالي المستوى وبجودة على الوجه المنشود وفق منهجية وبيداغوجيا التعليم المقترحة من طرف الوزارة الوصية والقائمين على عملية التعليم العالي والبحث العلمي.

– معاينة مدى قدرة الأستاذ على التحكم في حالته البسيكوفسيولوجية في مسار بناء كفاءته الذاتية، وفعالية ذلك التحكم في مسار أدائه لأنشطته التعليمية ومسؤوليته المهنية.

– محاولة قياس مدى قدرة الأستاذ على نسج علاقة طيبة ومتينة بين شريحة المتكونين وفق منهج علمي بيداغوجي هادف ومثمر ، كفيلة بإحداث طفرة نوعية في مسار التحصيل المعرفي والتكوين المهاراتي للطلبة، وفاعلة في إعدادهم لخوض مسار الحياة المهنية والاجتماعية وفق منهج ورؤية علمية، وبالأخص مسألة ومرافقتهم العلمية لبلوغ غاية حسن التوفيق بين مطامحهم ورغباتهم وما يقتضيه سوق العمل أو الحقل الاقتصادي.

1. 3 أهمية الدراسة:

في الوقت الذي لا يغيب عن ناظر كل باحث في هذا المنحى الدراسي، ومهتم بقضايا جودة التعليم العالي، أنّ حيازة مردود تعليمي هادف وبجودة عالية، يقتضي عدم إقصاء أي عامل أو مقوم أو فاعل، فإنّ توجيه النظر البحثي لمعالجة اشكالية مكانة تحكم الأستاذ في حالته البسيكوفسيولوجية في مسار نشاطه التدريسي، وحسن استثمارها في عملية التعليم بما ينسجم وأهدافه ومنهجيته وطرائقه البيداغوجية، يكتسي أهمية بالغة في مسار التحصيل العلمي الهادف، وملامسة مردود تعليمي ناجع. وهو ما يجعل خوض غمار هذه الاشكالية حاجة ملحة في مسار البحث العلمي الرامية لتحصيل الجودة العالية، والفاعلية اللامعة.

ومن ثمّة، فحتى وإن كنا لا نلقي بكافة الثقل على هذا المنحى في شخصية الأستاذ؛ أي مستوى تحكمه في حالته النفسية والفسيولوجية في مسار تحصيل مردود إيجابي وفاعلية تعليمية لامعة، إلا أنّنا لا نقّلل من أهمية هذا العامل في بلوغ الغرض التعليمي بمستوى عالٍ وفاعلية فائقة؛ خصوصا إذا تناغم حسن استثمار الكفاءة – بفرعيها النفسي والمعرفي– بميزان معتدل، وبمهارة ونضج واحترافية.

1. 4 الدراسات السابقة:

بخصوص الدراسات السابقة، نشير بأنّ الرؤية اتضحت أمامنا بشكل أساس لتفكيك مستغلقات هذه الدراسة على ضوء الطرح الذي تضمّنته مجموعة من الدراسات عل غرار: الدراسة الموسومة: الجانب السيكوسوماتي للأستاذ التي أنجزها الباحث أوزنجة العيد؛ حيث توقف بإسهاب عند اشكالية الاضطرابات التي تحدثها البنية الجسمية على نفسية الأستاذ، وتلعب دورها المحوري في تفاقم حالته النفسية، وربما حتى التأثير على صحته الجسمية إن تطور الأمر إلى معانات من أمراض عضوية كمرض الشقيقة والصداع على سبيل المثال الناجم عن الشعور المفرط بالنقص لوجود عاهة خَلقية بجسمه ظاهرة للخَلق.

ولا يكاد يقلّ حجم الاستفادة عن سابقه؛ ذلك الذي حصّلناه في ضوء مادة دراسة الباحثان بوزيدي عطية عصام وبوديل لامية التي جاءت تحت عنوان: جودة أداء الأستاذ الجامعي من وجهة نظر طلبة علم النفس وعلوم التربية بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة ورقلة. والتي توخت الكشف عن سبل تحصيل جودة عالية لأداء الأستاذ الجامعي، وعاينت ذلك في ضوء التجربة الميدانية، والأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر الطرف الثاني في العملية التعلمية–التعليمية ونقصد به فئة الطلبة، وبالأخص طلبة تخصص علم النفس؛ لما لهذا التخصص من صلة وطيدة بإشكالية دراستنا هذه.

بن دانية أحمد صاحب دراسة استراتيجيات التعلم: تكنولوجيا تربوية حديثة"، كان له علينا هو الآخر فضل معتبر؛ من حيث عاينا في ضوء دراسته نماذج من استراتيجيات التعلم الكفيلة بفتح الأبواب على مصراعيها أمام الأستاذ الجامعي لقيادة سفينة التدريس وفق مقارباتها وآلياتها، وبأدواتها لإنجاح العملية التدريسية وملامسة أهدافها البيداغوجية والعلمية والمهاراتية والفنية والتقنية. ومثلها دراسة عليوة سمية وبرغوتي توفيق الموسومة: الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالتدفق النفسي لدى طلبة جامعة الأغواط"، والتي حتى وإن لم تخضع الطرف الخاضع للمعانية من لدنا بدراسة واقع كفاءته الذاتية؛ فهي قد أخضعت فئة الطلبة ونحن نحاول معاينة فئة الأساتذة، إلا أنّها أنارت دربنا إلى حدّ ما في معالجة بعض حيثيات مشكلة بحثنا الرئيسة. بالإضافة إلى دراسة الباحث سناني عبد الناصر الموسومة: الصعوبات التي يواجهها الأستاذ الجامعي

المبتدئ في السنوات الأولى من مسيرته المهنية، والتي لا ننكر حجم الاستفادة الفائق من مقارباتها وطروحات صاحبها ونتائج تجربته الميدانية في ضوء العينات التي أخضعها للقياس والبحث، خاصة ما تعلّق بطبيعة الصعوبات التي تعترض الأستاذ الذي يروم تحسين الأداء البيداغوجي وسبل تفعيل آليات القياس التقويمي.

1. 5 الفرضيات:

نشير في هذا الصدد، إلى أنّ دراسة هذه الاشكالية طبيعي تتعلق بعينة تنتمي إلى مجتمع اسلامي لها خصوصية تميزها عن باقي العينات التي لا تنتمي إليه؛ بما يعني أنّ الأستاذ الذي تنبني شخصيته على منظومة قيمية اسلامية متميزة، وتتأسس على عقيدة اسلامية سليمة، توحي بقدرته على التأقلم الجيد ولما لا المثالي مع طبيعة العوائق النفسية الناجمة عن صورته الخَلقية ما دامت خارجة عن إرادته كالعمى، والتشوهات الخَلقية المتلونة، ولئن سلّمنا بأنّ فئة عريضة من الأساتذة الذين تتسم صورتهم الجسمية الظاهرة للعيان بعيوب وعاهات خَلقية، تتأقلم مع ذلك الواقع، ولا نقف على صدى له في تصرفاتهم وسلوكاتهم؛ بحكم إيمانهم بقضاء الله وحكمته، فإنّ هناك من يتأثّر تحت ضغوط النفس ومفرزات ذلك الواقع، وينعكس ذلك حتى على مسار وظيفته التدريسية خاصة حين يتحسس بأنّ صورته لافتة لانتباه عناصر الفئة المستهدفة (الطلبة)، بما يجعلنا نتساءل عن مستوى المردود التعليمي لهذا الصنف من الأساتذة تحت وقع هذا التأثير النفسي؟ وإلى أي مدى يمكن الايمان بفرضية أنّ هناك صنف من هؤلاء يمكن أنّ يطوي صورته الخَلقية تلك تحت جناح الكفاءة العلمية العالية التي يحوزها، والمهارة المعرفية والتقنية التي يمتلكها؟ وإلى أيّ حد يمكن التسليم بأنّ عقيدة الفرد ومنظومته القيمية المتبنّاة كفيلة بتأطير سلوكاته بالشكل الذي تتشوفه؟

1. 6 منهجية الدراسة:

نشير بأنّ بلوغ المراد على كاهل هذه الورقة البحثية، كان يقتضي منّا الاستعانة بالمنهج التحليلي كمقوم أساس، لتفكيك رموز البحث ومعالجة أفكاره، وطرق مشكلاته ومفاحصتها، واعتماده كسبيل لتحديد مكانة الحالة النفسية والفيسيولوجية في بناء الكفاءة الذاتية، ومعاينة نماذج من واقع ذلك ضمن فئة الأساتذة بالجامعة الجزائرية، خاصة الأستاذ الذي يعاني من عاهة جسمية خَلقية، أو اضطراب في شخصيته

النفسية نتيجة واقع اجتماعي معاش أو ظرفية نفسية عابرة كفقدان زوجته أو فرد من عائلته أو أي أزمة حادة أثّرت على حياته النفسية ومنه على مسار أدائه لأنشطته التدريسية ومسؤوليته المهنية. دون أن نغفل المنهج الاستقرائي، لاستنطاق آراء أهل الاختصاص الكاشفة لطبيعة المخارج الآمنة لتجاوز الأستاذ العقبات النفسية في مساره التكويني والتدريس لطلبته، والكفيلة بقياس مستوى كفاءته الذاتية ومردوده الايجابي بما يتوافق ومنهجية التعليم المسطرة والأهداف المنشودة.

2. مفردات الدراسة الأساسية:

نعتقد بأنّ من المفردات الأساسية التي يحسن التوقف عندها في مطلع هذه الدراسة، هي:

- الحالة البسيكوفسيولوجية:

تعكس هذه الحالة ذلك الواقع النفسي الذي يعيشه الفرد في ظل مواقف تفاعلية بين ما هو نفسي وما هو جسمي، والذي تكون له تأثيرات على الشخصية، من حيث الميولات والانفعالات والمواقف وردود الفعل ونحوها. أي أنّها ترتبط بالمسائل النفسية ذات الصلة الوطيدة بالجسم في المنحى الانفعالي، أو الاستجابات الانفعالية بين الفاعل والمنفعل، أو بتعبير آخر استجابة المنفعل لمثيرات نفسية مصدرها ذاته الجسمية. أمّا في المنحى الذي له صلة جد وطيدة بإشكالية بحثنا؛ فهي كما يقرّره أهل الاختصاص تلك الحالة البدنية والانفعالية في تقييم الأستاذ لأداء المتعلمين وإمكانياتهم. (أوزنجة،ع. 1994: ص57.)

- الكفاءة الذاتية للأستاذ الجامعي:

تتعدّد المفاهيم الواردة بشأن دلالة كفاءة الأستاذ الذاتية، وتتباين معانيها عند أهل الاختصاص بحسب طبيعة الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، والمجال العلمي الذي يضطلع بتدريسه. ومن بين ما سيق بشأنها من معاني حسبما توصلت إليه الدراسات البسيكوتربوية، فإنّ كفاءة الأستاذ الذاتية: هي استعداده الداخلي والذاتي لاتخاذ القرار المناسب لمعالجة أي موقف بما يتناسب وفي الوقت المناسب، أو هي قدراته المعرفية (مجموع المعارف) التي يظهرها في المادة التعليمية التي يدرّسها (صيام، أ. 2015: ص20-21.)، ومهاراته وخبراته التي يستثمرها في مسار أدائه الوظيفي لمهنة الأستاذية.

وتأتي الكفاءة الذاتية –في نظر بعض أهل البحث كذلك–على أنّها: قدرة الفرد على تنظيم وتنفيذ الاجراءات الكفيلة بتحقيق نتائج معينة على الصورة المرجوة والوجه المنشود. وقدرته كذلك على انتاج مستويات معينة من الأداء الذي من شأنه أن يؤثر ايجابا في حياة المعني وغيره، سواء في خياراته أو خيارات الآخرين وتوجيهها بما يعود بالمنفعة العالية على الطرفين على حد سواء. كما قيل بأنّها: مجمل التوقعات الصادرة من لدن أي فرد حيال قدراته المتاحة على فض المشكلات وتوصيف الحلول المناسبة لها، وكذا ومواجهة التحديات المستجدة وفق نظرة ايجابية تحفز على الأداء الأمثل. (عليوة، س وبرغوتي، ت. 2022: ص1191.) ولخّصها البعض الآخر في كونها: انتاج القدر الكافي –بما هو مستطاع– من أجود وأحسن صنف بأيسر جهد، وفي أقصر وقت، وبأكثر قيمة وأفضل قدر ممكن من الرضا والقبول والارتياح. (عليوة، س، وبرغوتي، ت. 2022: ص1191.)

ونحن إذ نشير إلى طبيعة الكفاءة الذاتية للأستاذ الجامعي؛ الذي طالما عُدَّ العصب المحرك في منظومة التعليم العالي والبحث العلمي، نرنو إلى التلميع إلى مساحة من مقومات ملامسة الجودة في أدائه التعليمي، وقدرته على صنع الكفاءات المستقبلية، وحسن اضطلاعه بمهمة نقل المعرفة وتبليغها إلى طلابه، وأهليته للقيام بالأدوار التعليمية الأساسية المنوطة به، على اعتبار أهمية الأدوار التعليمية والبحثية الموكلة به، وثقل الأعباء التكوينية الملقاة على كاهله، وحجم المسؤولية العلمية المسندة إليه. وكذا محاولة إدراك طبيعة الأفعال والأداء الذي من شأنه أن يؤول إلى نتائج تعليمية مضمونة وناجحة، وتقدير الجهود الكفيلة بخدمة الفئة المستهدفة بالتعليم وتلبية حاجاتها المعرفية والتقنية بفعالية وايجابية بشكل مخصوص والمجتمع بصفة عامة والتنمية البشرية بشكل مركز، والقادرة على مسايرة التطور التكنولوجي والتغير المعرفي، والمستجد العلمي الحاصل في ساحة البحث وحقول التعليم ومسار البيداغوجيا. (بوزيدي عطيةع وبوديل، ل. 2018: ص45.)

وعلى هذا الأساس، بات من الأهمية القصوى، البحث في مكامن قوة الأستاذ الجامعي العلمية والخبراتية والمهاراتية ونقاط ضعفه، لقياس أدائه وتقييم مسار ذلك الأداء، وإبراز طرائق تحصيل التحسن المستمر في أدائه، والفاعلية المستديمة في مردوده. وتتوجه

الجهود بشكل مركز نحو معاينة جانب من المؤثرات البسيكوفسيولوجية في مسار أدائه. وهو ما تجلّيه المحطة البحثية الموالية.

3. الحالة النفسية والفسيولوجية للأستاذ وأثرها في بناء علاقة متينة بين طرفي عملية التعليم العالي:

في مسعى تحصيل مردود تعليمي جيد، والرفع من مستويات التحصيل الايجابي في مسار العملية التعليمية في الجامعة، أولى أهل الاختصاص عناية مركزة بدراسة الحالة النفسية للأستاذ الجامعي، من خلال بحث العلاقة بين النفس والجسد، ومدارسة العوامل التي تتدخل في ذلك، وقد تتحكم فيه أيضا، بالإضافة إلى العوامل التي يمكن أن تؤثر على الصحة النفسية للأستاذ وتهدّدها؛ معنوية كانت أو مادية والتي لا تنفصم عن التأثير النفسي الجسدي على اعتبار التداخل اللافت فيما بينهما والتكامل الوظيفي الذي تصطبغ به الذات البشرية في وجودهما.

وكان من أبرز ما تمتّ الإشارة إلى خطورته على الصحة النفسية للأستاذ وتوازنه الوجداني هي الاضطرابات السيكوسوماتية على اعتبار أنّها تعدّ أشدّ وطأة على كاهلها من غيرها من العوامل الفاعلة في التأثير السلبي عليها. (أوزنجة،ع. 1994: ص57.) وطبيعي أنّ تلك الاضطرابات ستفعل فعلها السلبي في مساره التعليمي، وتؤثر سلبا على مستوى كفاءته، وحجم مردوده التعليمي، وجودة أدائه. (بوطاف، م. 1996: ص101.)

ولو بحثنا في طبيعة الأسباب الفاعلة في حدود تلك الاضطرابات النفسية والاختلالات المعنوية، فإنّنا سنجدها متعدّدة ومتلونة، تتراوح بين المؤثرات المعنوية والمادية، أو الذاتية والخارجية، وذلك من قبيل:

2. 1 العجز عن تحمّل أعباء الحياة الاجتماعية والتجاوب مع منغصاتها:

فالمنغصات التي تتخللّ مسار حياته الاجتماعية والظروف العصيبة التي يعيش تحت سقفها الأستاذ، تعد من القوى الهادمة لاستقراره النفسي (أوزنجة، 1994: ص57.)، وعاملا من العوامل المؤثرة سلبا على أدائه التكويني ووظيفته التعليمية.

2. 2 المظهر الخارجي:

لسنا نرمي إلى منح المظهر الخارجي أهمية قصوى في تحقيق التوازن النفسي للأستاذ، وملامسة الرضى من طرف طلابه على هيئته وشكله الخارجي، ولكننا مع

ذلك لا نقلِّل من أهميته، أو بشكل أحرى لا نلغي مكانة الاستبصار بالذات في مسار تحصيل ذلك. وعليه، فاعتناء الأستاذ بالمظهر الخارجي يكتسي أهمية –ولو ليست قصوى– في تحقيق عامل التجاوب المثمر بين الأستاذ وطلبته، والتعاون التعليمي الهادف والجاد فيما بينهم. ومن دون الخوض في طبيعة ذلك الاهتمام بالمظهر؛ لأنّه أمر جلي ومعلوم بالضرورة، نشير إلى أنّ إهماله؛ قد يعكس وجها من أوجه التهاون في حياة الأستاذ الناجم ربما عن ضغوط الحياة، والناطق باستسلامه أمام وقعها الثقيل على كاهله النفسي والاجتماعي، ومن ثمَّة ربما يوحي كذلك بضرب من ضروب عدم الاستقرار النفسي واختلال التوازن الوجداني. (وقد أشار أهل الاختصاص بأنّ السلوك قد يتحدّد غالبا وفق المؤثرات البيئية المتعددة من ناحية، ومن زاوية بحسب طبيعة المؤثر الداخلي. للمزيد من التفصيل، ينظر ما أشار إليه الباحث: بوطاف، 1997: ص102.) وقد قيل بما يشفع لهذا الرأي: بأنّ الأناقة في نظر بعض المتخصصين في علم النفس التربوي، تمثّل "**سمة القدرة على تصور مفهوم للذات**"، وأنّها كذلك سمة من سمات الاستجابات المستحسنة والمستملحة من لدن عناصر المجتمع. (أوزنجة، 1994: ص62.) بما يعني أنّ إهمال المظهر الخارجي وعدم المبالاة بالهيئة الخارجية للجسم يثوي إيحاءات متلونة تترجم الشخصية النفسية للأستاذ، وتشي بالمؤثر المعنوي الكامن في الوجدان. ويمكن في ضوئها قراءة تلك الشخصية، وتحديد حجم المؤثرات الفاعلة في صناعتها. (بوطاف، 1997: ص102.) كما تعكس في المقابل سمة عناية الأستاذ بأناقته علامة من علامات التوازن النفسي الذي تصطبع به شخصيته، والاستقرار الذي يؤطّرها، وتضعنا أمام أحد المؤشرات الدالة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشه وينتمي إليه، وموقعه في سلّم التراتبية الاجتماعية. وعلى هذا الأساس، يتأكد لدينا، بأنّه يحسن بالأستاذ أن يولي جمالية مظهره الخارجي عناية كافية؛ بإخراجه على الصورة التي تزكي شخصيته العلمية وتفصح عن مكانته المعرفية، وترسم صورة عن رضاه عن واقعه الاجتماعي، واستقراره الجسمي والنفسي، وقدرته على ضبط انفعالاته واندفاعاته، والتحكم في اتجاهاته وتأطير ميولاته. ونحسبه يستقيم مع ما ذهب إليه أحد الباحثين؛ الذي عدَّ الأناقة من المنحى القياسي التربوي "**كمتغير ذا شحنة انفعالية قادرة على التمييز بين الأساتذة الأسوياء والعليين**"، (أوزنجة، 1994: ص62.)

أو ما كشف عنه غيره حين رأى أنّ مفاهيم الأناقة وكذا التسيب غالبا ما تتحدّد على أساس موقف الشخص ونظرته لنفسه، وكذا لنظرة الآخرين له، بالإضافة إلى كيفية تصوره لمختلف المواقف وآليات إدراك أحداثها وفقه كنهها، وإلى أي مدى يمكن أن يتقبل ذاته وتستثيره مقوماتها. (أوزنجة، 1994: ص62.)

وينضاف إلى ما سبق، بأنّ العناية بالمظهر الخارجي تحيل على مظهر من مظاهر الرضا عن الذات وتقديرها. وهي في الأصل نابعة من حالة شعورية ايجابية ترتسم في مخيال الفرد عن حياته، وتعكس مستوى القيمة التي يمنحها الشخص لذاته، بل في ضوء ذلك يمكن تحديد طبيعة العلاقة بين حاجات الفرد المشبعة ومجمل الحاجات التي يشعر بها. ويذهب بعض علماء النفس إلى أبعد من هذا حين يعتبرون تقدير الذات: ذلك التقييم الشامل الذي يترجم وجهة نظر الفرد لمختلف منجزاته وتقييمها، ويعكس كذلك قدراته ومستوياتها، وحتى جسده وشخصيته، ومنظومة قيمه، ويفصح في المقابل أيضا عن كيفية استجابة الآخرين له وردود فعلهم حيالها. (ومن بينهم "كازدن". راجع ما ساقه في هذا الشأن: تلمساني، ف. 2014: ص116.)

2. 3 العاهات البدنية واللفظية:

بديهي أنّ الكمال الخَلقي بالرغم من أنّه مطلب كل نفس بشرية إلا أنّه ليس أمرا متاحا أمام الجميع؛ ففضلا عن أنّ تحصيله خارج عن نطاق الانسان؛ فهو –كما هو معلوم بالضرورة– بيد الله الخالق، فإنّ الانسان مبتلى في نفسه وجسمه من ربّه ليختبره أيصبر ويشكر، أم يضجر ويكفر. لذلك هناك من ابتلاهم الله بعاهات جسمية ظاهرة؛ بدنية أو لفظية، سواء كانت خلقة طبيعية أو جراء حادث في حياة الفرد، كعاهة عدم سلاسة خروج الحروف من الفم وعُقد اللسان التي تربط اللسان عند خروجها على غرار نطق حرف الراء غينا أو صعوبة إخراجها والجهر بها، أو فقدان البصر، أو العجز عن الحركة بشكل تام أو نسبي. لكن نظرتهم إلى ذلك القصور أو تلك العاهة أو الإعاقة اللفظية أو الجسدية، لم تكن على مسافة واحدة، ولا نفسها، بل تباينت من فرد لآخر، بحسب طبيعة العاهة، ومستواها، وحجم أثرها على حياته النفسية والاجتماعية، وبحسب كذلك مستواه الفكري والثقافي، ووعيه الديني ومستواه الايماني.

فإذا صادف وكان الأستاذ يعاني من عاهة من تلك العاهات، ولم يكن راضيا بما يكفي عن حالته الجسمية والنقص اللفظي أو الجسدي الذي يعتريه، ولم يستطع أن يتعايش معها تحت أي طائل ذاتي أو خارجي، وظل يشعر بالنقص، فإنّ ذلك طبيعي سيزعزع كيانه النفسي ويعصف باستقراره، وسيؤثر على علاقته المعنوية بالمحيط الذي يمارس فيه وظيفته التعليمية خاصة الفئة المستهدفة بالتعليم؛ لأنّه أكثر احتكاكا بها وتعاملا معها، وأنّها أكثر الفئات رصدا لطبيعة ذلك العجز ووقوفا على مشاهده ومعاينته خلال مساره الوظيفي وأدائه التعليمي. خاصة إذا تحسّس هذا الأستاذ ردود فعل غير إيجابية من عاهاته من طرف طلابه، أو استشعر أنّهم يرصدون عثراته ويتلقفون هفواته، ويتوقفون عند خصوصياته؛ فلا يغيب عنّا أنّ المشاعر النفسية تظهر وتتفاعل حين تتخصّب البيئة المناسبة لذلك؛ وتعدّ المواقف الحرجة من بين أخصب تلك الأنماط البيئية لإثارتها، وكذاك الكلمات الجارحة، وردود الفعل غير المناسبة في المواقف التي تقتضي الحذر والحيطة، ولهذا قيل أنّ الكلمة كما قد تبعث الحياة في النفس إذا كانت طيبة ومناسبة أو في موضعها قد تميتها أيضا إذا لم تنزل في الموضع المناسب ولم تكن طيبة. (غلاب، س. 2015: ص137.) ومن دون مواربة، فإنّ ذلك الاضطراب النفسي سيؤثر سلبا على أدائه التعليمي ووظيفته الأستاذية. (أوزنجة، 1994: ص57.)

2. 4 الإجهاد النفسي–الجسدي:

بحكم العلاقة الوطيدة بين النفسي والجسدي في تحصيل الراحة المعنوية والجسمية في مسار أداء أي وظيفة وبذل أي جهد بدني أو فكري، يؤكد أهل الاختصاص على أهمية عامل الراحة النفسية والجسدية للأستاذ بهدف تحصيل النتائج التعليمية المنشودة على الوجه الأمثل. فضعف الطاقة والوهن الناجم عن التعب الشديد، أو قلّة النوم (الأرق)، أو كثرة المشاكل والضغوط، لا تسبّب الإرهاق الجسدي فحسب، بل تهدّد الاستقرار النفسي وتفتك به، ونحسب أنّ ذلك يهدّد بشكل حتمي مسويات المردود التعليمي والأداء الوظيفي للأستاذ الجامعي، ويقلِّل من مردوده الانتاجي في مجال التدريس والتكوين. (أوزنجة، 1994: ص62.)

لذلك يجدر بالأستاذ أن يحسن التوازن بين النفسي والجسدي أو بين الحياة الشخصية والوظيفة المهنية؛ من حيث توزيع الوقت بالشكل العادل والطبيعي، وأن يمنح

لكل ذي حق حقه بالقدر الطبيعي دون إرهاق، تلافيا للتعب الذي قد يحيق بنفسيته أو جسمه. لأنّه حينها سيشعر بالراحة النفسية في حياته الشخصية والاجتماعية، وبالمتعة في أداء وظيفته وممارسة مهنته. (سوفي، ن وياسر، ع. 2021: ص29، دردون، ك ولمتيوي، ف، 2021: ص104.)

5.2عدم مسايرة ثورة المعلومات والانفجار التكنولوجي في مجال التقنية التعليمية والبيداغوجيا:

إنّ عجز القائم على العملية التعليمية (الأستاذ) عن مسايرة النهضة الفكرية والعلمية التي تشهدها البشرية على مستوى بيداغوجيا التعليم، وأدواته، وطرائقه، هو مؤشر من مؤشرات عدم تمكنه من استثمار التقنية الحاصلة في مجال تخصصه، فكما هو معلوم، أنّ المجتمعات في عصرنا هذا، تعيش تطورا رهيبا في شتى المجالات، يصاحبه تغيرا ملحوظا في الطرائق والتقنيات والأساليب والمناهج. وبذلك فالأستاذ في مجال تخصصه، وحتى يواكب ذلك الحراك على مستوى التقنية والمنهج والأدوات في الحقل الذي يدير معارفه ضمنه، يواجه تحديا كبيرا في سبيل التكيف والمسايرة والتأقلم، (بوزيدي وبوديل. 2018: ص45.) ولا يعقل حينها أن يرنو إلى ملامسة جودة في التعليم وتطوير النشاط البحثي، وهو يدرِّس في عصر التطور والتكنولوجيا ببيداغوجيا منتهية الصلاحية، وطرائق تعليمية أكل الدهر عليها وشرب كما يقال، وأدوات ووسائط لم تعد ناجعة، ويقدِّم المعارف والمعلومات في قوالب غير مناسبة، ويتواصل مع طلبته بأساليب منفرة أكثر مما هي محفزة وجاذبة. ذلك أنّ إغفاله لما أفرزته التكنولوجيا في ميدان عمله يثبط من نشاط الطلبة، ويعرقل مسارات نمو السلوك الابداعي وتطور الفعل المهاراتي لديهم؛ باعتباره رأس حربة الممارسة التدريسية للأستاذ الجامعي. (بوزيدي وبوديل. 2018: ص48.)

وفي حال أدركت الفئة الخاضعة للتكوين عدم مسايرته لذلك الانفجار التكنولوجي والثورة المعلوماتية، وعاينت عجزه عن مواكبته وعدم قدرته على الاستجابة لتلك المتغيرات وذلك الانفجار التكنولوجي المعلوماتي؛ وكانت هي تسايره ومتأقلمة مع متغيراته، وأدرك الأستاذ ذلك وعاينه، أثّر ذلك على نفسيته؛ حيث يصطدم بوجود هوة بينه وبين طلابه في مجال التحكم في التقنية التعليمية المستجدة والتغيرات والتطورات الطارئة في مضمار التعليمية أو فن التدريس الصحيح كما يعرّفها علماء التربية، (شابو، م. 1995: ص2.

مسعودي، ح. 1996: ص.41) ويستشعر الفروق الظاهرة في مستوى التفاعل والتجاوب معها. (بن دانية، أ. 1993: ص22–25. بوشخشوخة، م. 2018: ص174.)

وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بالعجز عن فرض الذات المعرفية–التقنية في الوسط العلمي الذي تنتج فيه المعرفة؛ على اعتبار أنّ الأستاذ بالرغم من كونه شريك أساسي في العلمية التعليمية ومحور من محاورها الأساسية إلى جانب أعضاء الفئة المستهدفة بالتعليم، إلّا أنّه في حقيقة الأمر مفصلها الأساس ومحورها الهام؛ لكون الموجه والمؤطر، وأي تقصير من جانبه تكون له عواقب أشدّ وطأة على مسار الفعل التعليمي من التقصير الذي ينجم عن عناصر الفئة المستهدفة.

أمّا بشأن مخرجات الاضطرابات السيكوسوماتية ومفرزاتها على المردود التعليمي للأستاذ، فإنّ علماء النفس والتربية وأغلب المتخصصين في هذا الحقل البحثي يجمعون على أنّ تلك الاضطرابات السيكوسوماتية تعدّ "**مؤشر لجوانب سوء التوافق المهني**". (أوزنجة، 1994: ص62.)

3. جسور التكامل بين الكفاءة الذاتية للأستاذ والطالب:

ويتجلى ذلك من خلال:

3. 1 التواصل المثمر:

حيث يجدر بالأستاذ أن يحسن ربط علاقته التعليمية بالعناصر المستهدفة للتعليم، وشق قنوات متينة للتواصل المعرفي المثمر معهم، حتى يتمكن من تنمية قدراتهم، وبناء معارفهم، وتشكيل هوياتهم العلمية؛ فالمتعلم كما هو مقرّر في استراتيجيات التعلم "**عبارة عن هوية منظمة تساهم بنشاط وفعالية في بناء واقعها**"، (بن دانية، أ. 1993: ص27.) وطبيعي أنّ الموجه الأساس في ذلك هو الأستاذ.

3. 2 المراجعة المستديمة للذات المعرفية:

من خلال الحرص الدؤوب على تطوير الذات المعرفية والمؤهلات الخبراتية، وتنمية الزاد المعرفي والمهاراتي، والاجتهاد المستمر في تحيين المعارف والخبرات وإعادة تأهيل ما يتطلبه ذلك، ومسايرة كل ما تقذفه التكنولوجيا الحاصلة في مجال البيداغوجيا وطرائق التعليم وتقنياته المستجدة في تخصص الأستاذ وحقله التكويني.

3. 3 استبصار الأستاذ لذاته النفسية:

وذلك على كاهل معالجة مشاكله الاجتماعية، وإنتاج حلول لها؛ بما من شأنه أن يريح نفسيته ويخفف عليها من أعباء ومنغصات الحياة، حتى يقيها مغبة الوقوع في الاضطرابات السيكوسوماتية التي تعصف باستقراره النفسي، وتهدم بنيان توازنه الوجداني، وتؤثر سلبا على أدائه التعليمي التكويني. (للوقوف على طبيعة الفروق الفاصلة بين دلالتي التعليم والتكوين، ينظر ما تفضّل به علينا الباحث: حشلاف، ع. 1996: ص80. وللمزيد من التفصيل أكثر، ينظر بشأن دلالات التعليم، كل من: مياه محمد، إ. 2012: ص23، شيكو، ي. 2012: ص104، .Andre, la lande (1968) ,p29 .)

3. 4 التوافق النفسي الجسدي للأستاذ وصلته بالأداء:

ضروري أن يحرص الأستاذ على تحصيل التوافق النفسي الجسدي في مسعى ضمان السير الحسن للعملية التكوينية، وتنمية المردود التعليمي المرجو من أدائها، وهو ما يؤكد عليه علماء النفس والتربية ويولونه عناية فائقة بالمدارسة والتحليل؛ حيث يرون بأنّ من تمظهرات ذلك التوازن أن يولي الأستاذ العناية بشخصيته بكل أبعادها عناية مركزة؛ سواء في منحاها العلمي بتطوير قدراته، أو في منحاها الجسمي من خلال الاهتمام بمظهره الخارجي وتجميله فالأفضل أن يكون جاذبا ومتميزا، وفي منحاها النفسي أي أن تتسم بالاتزان. (يعقوبي، م. 1998: ص48-49.) وذلك أنّ الأستاذ -كما يرونه- حين يتحلى بكاريزما علمية قوية وشخصية نفسية متوازنة بكل أبعادها، يمكنه التأثير الفاعل في شخصية المتلقين أو الطلبة المتمدرسين؛ تأثيرا علميا قويا من شأنه أن يبعث فيهم روح الإقبال على حصصه، وحسن التجاوب مع أسلوبه، وجميل التفاعل مع طريقته. وحى وإن كان رضى الطلبة على طريقة التدريس المتبعة من طرف أستاذهم ليس معيارا صادقا في تقييم مردوده التدريسي، إلا أنّ لإقبالهم الملحوظ على حصصه واستدامة حضورهم لها بقوة، وتحصيلهم نتائج لامعة في تخصصه، وإيثار حصصه على بعض حصصهم الدراسية، يعكس -إلى حدّ ما- قدرة الأستاذ الفائقة على تشييد جسور متينة من بنيان الثقة بينه طلبته، وإجادته آليات الاستقطاب العلمي، وفنون جذب اهتمام المتلقي للتعاون العلمي الهادف مع طلبته وانشراح صدورهم لتحصيل معرفي متميز.

ثمّ إنّ المتعلم كلّما لامس بأنّ الأستاذ متحكم في إدارة العملية التعليمية بشكل لافت، وعاين إجادته معالجة المواقف الطارئة وحسن التعامل معها بشكل مستمر على غرار –على سبيل المثال لا الحصر– سوء الأدب الذي قد يصدر من طرف متعلم من المتكونين، أو تطاول أحدهم وتجاوز حدوده، أو التشويش الذي يحدثه بعضهم للتأثير سلبا على مسار الأداء التعليمي للجماعة، ويجيد بأسلوب هادف وبكفاءة عالية تجاوز الحالات الحرجة التي يصطدم بها في البعض من الأحايين في مسار العملية التكوينية، فضلا عن الأداء الجيد أو الممتاز للفعل التعليمي، كلّما تنامت ثقة الجماعة الخاضعة للتكوين في أستاذهم، واستسلموا له مذعنين للتلقي المثمر، والنقاش الهادف والمزهر، والتفاعل الحيوي الواعي، وتحقق رضاهم على أدائه ولامسوه بقوة. وفي هذا الصدد، تؤكد الدراسة السوسيونفسية والتربوية بأنّ تقدير الطلبة الجيد لأداء الأستاذ بكل تمظهراته مؤشر أساس من المؤشرات الناطقة بحسن العلاقة بين الأستاذ والطلبة، وملاءمة البيئة التعليمية لمرور الرسالة بين الطرفين بشكل سلس ومثمر. (بوزيدي وبوديل. 2018: ص48.)

وطبيعي أنّ ملامسة الأستاذ لحسن علاقة الطلبة به، ستحفّزه على العمل أكثر، وتدفعه لتقديم أفضل ما لديه، واستثمار امكاناته المعرفية والمهارتية والخبراتية بأقصى قدر ممكن، كما تعينه على تذليل صعوبات تشخيص إمكانات طلبته، ومعاينة مستويات قدراتهم، وتحديد طبيعة الفروق التي تصطبغ بها، وتسهّل عليه مهمة تعزيز القدرات وحسن استثمارها، ومعالجة مواطن الضعف وتقويمها، وتسهم إلى جانب ما ذكرنا في توسيع قنوات الاستيعاب واستثارة الانتباه والدافعية والحماس والرغبة في التعلم، بل وتخفِّف حتى من الحواجز التي من شأنها أن تعيق مسار التواصل السلس بين الأستاذ وطلبته؛ خاصة وأنّ الأستاذ هو مدير العلاقة والمشرف على تأطيرها، وأنّ أنماط التعلم عند الطلبة متباينة من فئة لأخرى وسمات شخصيتهم تختلف من طالب لغيره. (بوزيدي وبوديل. 2018: ص48.)

وقد ألمحت الدراسة البسيكوتربوية إلى أثار الرضى عن الذات في تحقيق التوازن النفسي في حياة الفرد مهما كانت مرتبته الاجتماعية ومستواه المعرفي، ولفتت الانتباه إلى أنّ الرضا عن النفس وتقدير الذات يعد من بين المعايير التي يعتمد عليها في تقييم جودة الحياة، وقياس مردود الأفعال ومنتوج الأداء، بل حتى إنّ من علماء النفس من يرى بأنّ الرضى عن الذات هو

تقييم الحياة بكل أبعادها بطريقة نافعة وهادفة وايجابية. (ومن بينهم: "كومينز (cummins)"، و"بورك وجيلدون" (Bourke, Geldens). انظر: تلمساني، ف. 2014: ص116.)

ولعلّه لوجه هذا قيل بأنّ التوافق المهني للأستاذ في الغالب مرهون ومرتبط أشدّ الارتباط في أكثر الأحيان بمدى سلامته النفسية وصحتها وخلوها من الاضطرابات السيكوسوماتية المحتملة ونجاته بشكل لافت من شتى ألوان الاعتلال خاصة في النواحي التالية: المظهر الخارجي، وكذاك الناحية اللفظية، وحتى الناحية الجسمية لاسيما ما تلعق بالأناقة وحسن المظهر. (أوزنجة، 1994: ص58.)

3. 5 تقييم الأستاذ لأدائه التعليمي:

لعله ينبغي للأستاذ أن يتحسّس بصفة مستديمة مدى تطور مستواه التكويني، ويعاين مستويات مردوده التعليمي؛ من خلال قياس خبرات الفئة المستهدفة ونتائجهم المحصّلة، وفق أدوات القياس الفاعلة والصادقة. (أوزنجة، 1994: ص57.) ففي الوقت الذي يكون كل أستاذ مطالب بالاجتهاد في تطبيق التعليمية أو فن التدريس الصحيح لبلوغ الأهداف التعليمية، يجدر التنبيه إلى أنّ لكل أستاذ أسلوبه التعلمي الخاص –والذي لا يخرج طبعا عن الإطار العام للتعليمية المتّبعة– في مساره التعليمي شريطة أن يقوده ذلك الأسلوب الشخصي إلى النتائج المنشودة، ويكلّل جهده بالنجاح، فقيمة الأسلوب أو المنهج المتّبع تتحدّد في ضوء النتائج المحصّلة، ومدى تأثيره الفاعل والمثمر في النهوض بالعملية التعليمية والتأثير الايجابي في شخصية المتعلم. (للمزيد من التفصيل في هذا المضمار، راجع ما أورده كل من: شابو، 1995: ص22، عباد، م. 1996: ص80.)

كما يحسن أن يواظب على معاينة مواطن الخلل التي قد تشوب مسار الأداء، ويحرص على رأب صدوعها، لضمان السير الحسن للأداء التعليمي الفاعل والمثمر، والحفاظ على متانة العلاقة المعرفية الواصلة بينه وبين الفئة المستهدفة بالتكوين العلمي والمعرفي.

4. مقومات التشخيص الدقيق للكفاءة المنسجمة مع حاجات المتعلم:

لعل من بين مقومات التشخيص الدقيق لكفاءة الأستاذ الجامعي المنسجمة مع حاجات المتعلم، أو قدرته على نسج علاقة طيبة ووطيدة مع الفئة المستهدفة بالتدريس في ضوء قدراته الشخصية ومهاراته الذاتية؛ التي تراعي حاجة الآخر وتُحظى بالرضى الذاتي–الشخصي في نفس الآن، ما نورده في النقاط البحثية الموالية:

4. 1 تقبل النقد الصادر من الذات ومن الغير:

من تمام الثقة بالنفس عند الأستاذ والاعتزاز بقدراته المعرفية، والوعي بأهليته وإمكاناته، أن يحترم رأي الآخر، ويقدِّر موقفه ويعيره الرعاية والاهتمام بالمناقشة والدراسة، ولا ينبغي أن يحتكر الرأي ويتسلّط في المواقف. ولقد أثبتت إحدى الدراسات التي أجريت على مجموعة عينات من الطلبة بإحدى الجامعات الجزائرية خلال سنتي 2017/2016، بأنّ من العوامل التي تشعرهم بحسن أداء أستاذهم في الجامعة وتحفّزهم على الاستجابة المثلى له والتفاعل المثمر في حصته، أن يتقبّل أفكارهم، ويعير انتقاداتهم الهادفة أثناء المناقشة عناية واعتبارا، ويقبل آراءهم ويناقشها بموضوعية وليس بمنظار أحادي؛ بحكم أنّه صاحب السلطة، وكذا تعزيز إجاباتهم واحترام مواقفهم وتقديرها. (بوزيدي وبوديل. 2018: ص48.) ومن ثمار هذا السلوك الايجابي، أنّه يسهم في تنمية التفكير الابتكاري لديهم، وتطوير الخبرات، وتفجير المواهب، وحسن استثمارها. (فضل، ق. 2018: ص321.)

4. 2 القدرة على التأقلم مع متغيرات الذات ومواقف الطلبة:

من علامات جودة الأداء لدى الأستاذ أن يتمكن من فهم شخصية طلبته، ويحسن تشخيص قدراتهم على الاستعاب، ويفلح في استثارة انتباههم. فمعلوم أنّ الأمزجة متباينة، والقدرات متفاوتة، والأستاذ الكيس من يفلح في تشخيصها، وإعارتها انتباها –دقيقا وهادفا– في مسار أدائه، حتى تكون جهود العملية التعليمية مثمرة. بيد أنّه من الأهمية القصوى أيضا أن يفلح الأستاذ في ذلك وهو متحكم في متغيرات الذات، ومسيطر على انفعالاتها وقادر على إدارتها بشكل متوازن وهادف.

4. 3 القدرة على صياغة الحلول في الوقت المناسب وعلى الصورة الأنسب:

فالأستاذ في مسار أدائه لوظيفة الأستاذية قد تعترضه مشكلات تتعلّق بالمنحى المعرفي للطلبة، وأحيانا بالسلوكات والتصرفات الشخصية (غير العلمية) الصادرة منهم. (بوزيدي وبوديل. 2018: ص49.) وبذلك تتجلى حنكة الأستاذ في تخطيّها بأمان من خلال قدرته على تشخيصها، وصياغة الدواء الكفيل بمعالجتها، فضلا عن قدرته على ضبط النفس والتحكم في انفعالاته في مسار معالجتها حتى لا يسهم في زيادة الطين بلة، والتأثير سلبا على نفسية الطالب وشخصيته.

4. 4 التواضع الهادف:

طبيعي أنّ التواضع حين يكون في محله المناسب وبمقداره الأنسب سيساهم في رفع مكانة الأستاذ في أعين طلبته، ويُعلي من قيمته في نظرهم على الوجه الأحسن، أمّا التكبّر والترفع فعامل من عوامل هدم العلاقة بينه وبين طلبته وقطع جسور التواصل فيما بينهم. وليس بخاف، أنّ التواضع ينبني على أساس الثقة بالنفس؛ تلك المؤسسة على الرضى عن قدراته، والقناعة بمؤهلاته، والتوازن الذي تصطبغ به شخصيته في ظل التوافق بين الجانبين النفسي والجسمي. (السميري، ن. 2017: ص182. شيخي، م، ودحو، خضرة وآخرون. 2020: ص43.)

وعلى هذا الأساس، فملامسة الطلبة لتواضع أستاذهم، واستشعارهم له، يرمي في نفوسهم روح الإقبال على الدرس، والتفاني في طلبه، ويحفزهم على حضور محاضراته وتعهد حصصه وملازمتها، ويبعث على الاحترام المتبادل فيما بينهم والاتصال الدائم كذلك. (بوزيدي وبوديل. 2018: ص49.)

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، يتأكد لدينا بأنّ تحصيل مردود ايجابي في مسار العملية التعليمية، يتطلب بشكل أساس ربط جسور متينة بين الأستاذ وطلبته؛ حيث تلقى مساحة واسعة من مسؤولية بناء تلك العلاقة وجهود توطيدها، والعمل على ترميمها إن شابها القصور، على عاتق الأستاذ؛ فهو عصب العملية التعليمية، والمحرك الأساس لدواليبها.

وإذا كان التقدير الذي يحظى به الأستاذ من طرف طلبته، يمثّل أحد أقوى المحفزات التي تبعث في نفسه الدافعية لتقديم ما هو أفضل، واستفراغ الجهد بأقصى مدياته في مساره الوظيفي، والرفع من مستويات تحسين الأداء التعليمي إلى أقصى حدوده، فإنّ تقديره لذاته هو ومنحه لنفسه حقها وتقديرها بما يكفي، يمثّل مادة حيوية لزرع الثقة في النفس وتأمين استقرارها؛ إذ لا يكفي التقدير الصادر من الغير (أي التقدير الخارجي) ما لم تلق النفس التقدير الشخصي–الذاتي الكافي. وإصلاح العلاقة مع النفس يسبق إصلاح علاقتها مع الغير، أو أنّ الثاني لا يتمّ إلا بالأول ولا ينفع بشكل فاعل بدونه.

وأنّ الأستاذ كلّما أحسن التحكم في الحالة البسيكوفسيولوجية الشخصية، وأفلح في إحداث التوازن فيما بين مقوماتها في ظل مؤثراتها المتشعبة وافرازاتها المتداخلة، كلما

حافظ على مسار الأداء التعليمي بصورة طبيعية، ونحج في تطوير الذات المعرفية والقدرات والمهارات في غياب المعيقات، وأسهم في جودة التعليم، وتحسين مردوده.

6. قائمة المراجع:

1. أوزنجة، العيد (1994)، "الجانب السيكوسوماتي للأستاذ"، مجلة المبرز، العدد04، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

2. السميري، نجاح (2017)، "الثقة بالنفس كمتغير وسيط في العلاقة بين التمكين النفسي والاحتراق الوظيفي المهني لدى معلمي التربية الخاصة بمحافظات غزة"، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، الجزائر.

3. بوطاف، مسعود (1996)، "أهمية القيم في توجيه سلوك الأفراد"، مجلة المبرز، العدد07، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

5. بن دانية، أحمد (1993)، "استراتيجيات التعلم: تكنولوجيا تربوية حديثة"، مجلة المبرز، العدد01، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

6. بوشخوخة، مسعود (2018)، "جدلية المعرفة الفيزيائية والتحليل الابستمولوجي المعاصر"، مجلة دراسات، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، الجزائر، العدد الثامن.

7. بوزيدي، عطية عصام وبوديل، لامية (2018)، "جودة أداء الأستاذ الجامعي من وجهة نظر طلبة علم النفس وعلوم التربية بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة ورقلة"، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ج1، ع9، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر.

8. تلمساني، فاطمة (2014)، "الرضا عن الحياة وعلاقته بتقدير الذات لدى طلبة المدارس العليا"، مجلة الباحث، العدد11، المدرسة العليا للاساتذة، بوزريعة، الجزائر.

9. دردون، كنزة ولمتيوي، فاطمة الزهراء ايمان (2021)، "الضغوط المهنية والاجتماعية وتأثيرها على الأداء البيداغوجي لدى أساتذة التربية البدنية والرياضية دراسة ميدانية على عينة من أساتذة التعليم المتوسط بولايتي سيدي بلعباس والشلف"، مجلة دوافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج5، ع2، الجزائر.

10. حشلاف، عثمان (1996)، "تكوين المكونين بالمدرسة العليا للآداب وأثره على نوعية التعليم بالجزائر"، مجلة المبرز، العدد07، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

11. صيام، كريمة (2015)، "الآليات المعرفية في كفاءة القراءة دراسة مقارنة بين القارئ الكفء والقارئ الضعيف في الوسط المدرسي الجزائري"، مجلة الباحث، العدد12، المدرسة العليا للاساتذة، بوزريعة، الجزائر.

12. طلال، محمد خلف (2005)، الهجمة على مناهج التربية والتعليم، ضمن كتاب مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة.

13. فضل، قيس (2018)، "اتجاهات أساتذة التربية البدنية والرياضية نحو التفكير الابتكاري وعلاقتها ببعض المتغيرات "دراسة ميدانية بثانويات ولاية ورقلة"، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، ع34، الجزائر.

14. سوفي، نبيل وياسر، عبد الرحمان (2021)، "أثر التوازن بين العمل والحياة على الالتزام التنظيمي بوجود الرضا الوظيفي كمتغير وسيط حالة العاملين الشبه طبيين بمستشفى الطاهير"، مجلة نماء للاقتصاد والتجارة، مج5، ع2، الجزائر.

15. شيخي، مليكة ودحو، خضرة وسعيدي عامر برزوق(2020)، "تأثير التمكين النفسي على الأداء الوظيفي للعاملين بوجود الرضا الوظيفي كمتغير وسيط دراسة حالة القطاع المصرفي بسعيدة"، مجلة التنظيم والعمل، مج8، ع3، الجزائر.

16. شابو، مولاي ادريس (1995)، "ما هي التعليمية"، مجلة المبرز، العدد05، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

17. شيكو، يمينة (2012)، العولمة والإصلاحات التربوية كما خطط لها المعهد العالمي للتخطيط التربوي، مقال ضمن كتاب جماعي لأشغال الملتقى الدولي حول: العولمة والتربية الفرص والتحديات المنعقد بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة.

18. عليوة، سمية وبرغوتي، توفيق (2022)، "الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالتدفق النفسي لدى طلبة جامعة الأغواط"، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، مج5، ع2، الجزائر.

19. غلاب، ساعد (2015)، "رعاية المشاعر النفسية في مخاطبة الغير من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم"، مجلة الباحث، العدد12، المدرسة العليا للاساتذة، بوزريعة، الجزائر.

20. عباد، مسعود (1996)، من عوائق التعلم ومسيراته "التذكر والنسيان"، مجلة المبرز، العدد08، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

21. مياه، محمد إحسان الله (2012)، العولمة وآثارها السلبية على التربية: حلولها ومواقفنا إزاء ذلك، مقال ضمن كتاب جماعي لأشغال الملتقى الدولي حول: العولمة والتربية الفرص والتحديات المنعقد بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

22. مسعودي، الحواس (1996)، "قراءة في برنامج اللغة العربية (المرحلة الثانوية) على ضوء مفهوم الوحدة التعليمية"، مجلة المبرز، العدد08، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

32. يعقوبي محمود، آراء حول تدريس الفلسفة "الفلسفة والأستاذ"، مجلة المبرز، العدد10، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 1998.

25 . Andre, la lande (1968) , vocabulaire technique et critique de la philosophie, presse universitaire de la France 2eme édition, Paris.